

تفسير ابن كثير

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ^قوَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^صفَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ
وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ^قوَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَاعُ الْغُرُورِ

يخبر تعالى إخبارا عاما يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت ، كقوله : (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) فهو تعالى وحده هو الحي الذي لا يموت والإنس والجن يموتون ، وكذلك الملائكة وحملة العرش ، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء ، فيكون آخر كما كان أولا . وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس ، فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت ، فإذا انقضت المدة وفرغت النطفة التي قدر الله وجودها من صلب آدم وانتهت البرية - أقام الله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليلها وحقيرها ، كثيرها وقليلها ، كبيرها وصغيرها ، فلا يظلم أحدا مثقال ذرة ، ولهذا قال : (وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد العزيز الأوسي ، حدثنا علي بن أبي علي اللهبي عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، قال : لما توفي النبي صلى الله عليه

وسلم وجاءت التعزية ، جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال : السلام عليكم
أهل البيت ورحمة الله وبركاته) كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة
(إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفا من كل هالك ، ودركا من كل فائت ،
فبالله فثقوا ، وإياه فارجوا ، فإن المصاب من حرم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته . قال جعفر بن محمد : فأخبرني أبي أن علي بن أبي طالب قال : أتدرون من هذا
؟ هذا الخضر ، عليه السلام . وقوله : (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) أي :
من جنب النار ونجا منها وأدخل الجنة ، فقد فاز كل الفوز . قال ابن أبي حاتم : حدثنا
أبي ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبي
سلمة ، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "
موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرءوا إن شئتم : (فمن زحزح عن النار
وأدخل الجنة فقد فاز) . هذا حديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه بدون هذه
الزيادة ، وقد رواه بدون هذه الزيادة أبو حاتم ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في
مستدركه ، من حديث محمد بن عمرو هذا . ورواه ابن مردويه [أيضا] من وجه آخر

فقال :حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن يحيى ، أنبأنا حميد بن مسعدة ، أنبأنا عمرو بن علي ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها " . قال : ثم تلا هذه الآية : (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) وتقدم عند قوله تعالى : (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ما رواه الإمام أحمد ، عن وكيع عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أحب أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة ، فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه " .وقوله : (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) تصغيرا لشأن الدنيا ، وتحقيرا لأمرها ، وأنها دنيئة فانية قليلة زائلة ، كما قال تعالى : (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) [الأعلى : 16 ، 17] [وقال تعالى : (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع) [الرعد : 26] وقال تعالى : (ما عندكم ينفد وما عند الله باق [[النحل : 96] . وقال تعالى : (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى) [القصص : 60]

وفي الحديث : " والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم إصبعه في اليم ،

فلينظر به ترجع إليه ؟ " . وقال قتادة في قوله : (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) هي

متاع ، هي متاع ، متروكة ، أوشكت - والله الذي لا إله إلا هو - أن تضمحل عن أهلها ،

فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ، ولا قوة إلا بالله .